بسم الله الرحمن الرحيم

بك ألوذ

«أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ...»

اللقاء الخامس عشر

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قَالَ: كَانَ نَبِيُّ الله -ﷺ- يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**».

هذا الدعاء العظيم المبارك يتعلق كله بالاستعاذة ، والاستعاذة: هي طلب العوذ، وهو لجوءٌ من شيء يخافه الإنسان ويحذر منه إلى من يخلِّصه منه .

فالاستعاذة اعتصامٌ والتجاء واستنصار وفرارٌ إلى الله سبحانه بأن يخلِّص العبد مما يخشاه ويخاف منه ، إما شيء واقع موجود فيطلب من الله بتعوذه أن يرفعه ويُبعده، أو شيء مفقود يخشى أن يقع أو يحصل؛ فيتعوذ بالله من وقوع ذلك الشيء .

فالتعوذ في الجملة يرجع الى هذين الأمرين : إما تعوذ من شيء موجود، أو شيء مفقود .

☜وهي فرار إلى الله والتجاء إليه وعبادة لا تصـرف لغيره، ومن صـرف تعوذه إلى غير الله –ﷻ– صرفه إلى ذلٍ وهوان، ولم يزده من صرف تعوذه اليه إلا رهقًا وذلا، كما قال تعـالى: {وَأَنَّـهُ كَـانَ رِجَـالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَـالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}[الجن:6] ، فلا يحصِّل منفعةً، بل يهدم بذلك دينه.

✍والتعوذ هو من الدعاء، لذا ترى في الأحاديث «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ»، لكنه دعاء مخصوص بطلب الخلاص من مخوف ومرهوب وشيء يخشى منه الإنسان، فيطلب من الله –ﷻ– أن يعيذه منه. والمستعاذ به هو الله وحده ربُّ الفلق ورب الناس ملك الناس إله الناس؛ الذي لا ينبغي الاستعاذة إلا به، ولا يستعاذ بأحد من خلقه، بل هو الذي يعيذ المستعيذين ويعصمهم ويمنعهم من شر ما استعاذوا من شره، ولا ملجأ ولا نجاة إلا بالفرار إلى الله {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ}[الذاريات:50].

🡸لهذا يجب على المسلم أن يحقق هذه العبودية العظيمة عبودية التعوذ، ففي كل شيء يخافه ويخشاه لا يلجأ إلا إلى الله ولا يفر إلا إليه، طالبا نجاته وخلاصه مما يخشاه ويخافه منه وحده.

📁هذا وقد اشتمل هذا الدعاء على الاستعاذة من سبعة أمور:

♦العجز: تخلُّف العبد عن فعل الخير لعدم القدرة.

♦الكسل: ترك العبد فعل الشيء مع القدرة عليه.

♦الجبن: هو مهابة الأشياء، والتأخّر عن فعلها.

♦والهرم: الكِبَرُ والردُّ إلى أرذل العمر.

♦عـذاب القبر : وعـذاب القبر حق، والنـاس يعـذبون في قبوهم إلا أهـل الإيمـان والطاعة .

٦♦و٧-فتنة المحيا والممات: قال ابن دقيق العيد: «وفتنة المحيا ما يتعرض له الإنســـان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشـهوات والجهالات، وأشـدها وأعظمها -والعياذ بالله - أمر الخاتمة عند الموت. وفتنة الممات يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت لقربها منه.

✍أي أنه كان -ﷺ- يداوم على هذا الدعاء لأهميته، وذلك: أن العجز والكســـل يفوّت على العبد كثيراً من الواجبات من أعمال الصـــالحات التي ترجع إليه بالنفع في دينه ودنياه وآخرته، واسـتعاذته كذلك من (الجبن): وهو مهابة للأشـياء يؤدي إلى عدم الوفاء بكثير من الواجبات وحقوق الله تعالى، كالقتال في سبيله، وعدم الجرأة في الصدع بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعدم مخالفة هوى النفس والشيطان واستعاذته من (الهرم) أي كبر السـن الذي يؤدّي إلى تسـاقط بعض القوى، وضـعفها كاختلال العقل والحواس والعجز عن كثير من الطاعات، والتســاهل عن بعضــها، وقوله: (وفتنة المحيا): هو ما يعرض للإنســان مدة حياته من الافتتان بالدنيا وشــهواتها من النســاء والأموال والأولاد، ويدخل كذلك من فتن الدين، ومن أعظم الفتن في الدنيا أن يموت العبد والعياذ بالله بســـوء الخاتمة عند الموت. (والممات): قيل: فتنة القبر، وقيل: عند الاحتضار، وأضيفت الفتنة إلى الموت لقربها منه، ويحتمل كل هذه المعاني.

قال ابن بطال رحمه الله: (هذه كلمة جامعة لمعانٍ كثيرةٍ، وينبغي للمرء أن يرغب إلى ربه تعالى في رفع ما نزل، ودفع ما لم ينزل، ويستشعر الافتقار إلى ربه عز وجل في جميع ذلك)

■أحدها: قوله «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ**»؛ وَإِذَا كَانَ العَجزُ هُوَ عَدَمُ قُدرَةِ المرءِ عَلَى فِعلِ الشَّيءِ لأَنَّهُ قَد لا يَملِكُ أَدَوَاتِهِ، وَمِن ثَمَّ فَالأَصلُ أَلاَّ يُلامَ عَلَيهِ وَلا يُذَمَّ، فَإِنَّ الكَسَلَ هُوَ تَركُ الشَّيءِ مَعَ القُدرَةِ عَلَى الأَخذِ بِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَستَحِقُّ صَاحِبُهُ اللَّومَ وَالذَّمَّ؛ حَيثُ تَرَكَ بِرَغبَتِهِ مَا يُدرِكُ بِهِ الخَيرَ وَيَنَالُ به المكَارِمَ، وَيَحظَى فِيهِ بِالأَجرِ وَالثَّوَابِ وَمَحَبَّةِ الخَالِقِ –عَزَّ وَجَلَّ– لَهُ وَإِعَانَتِهِ إِيَّاهُ عَلَيهِ، قَالَ –صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ–: "المؤمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ وَأَحَبُّ إِلى اللهِ مِنَ المؤمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيرٌ، اِحرِصْ عَلَى مَا يَنفَعُكَ وَاستَعِنْ بِاللهِ وَلا تَعجِزْ" رَوَاهُ مُسلِمٌ.

■والثاني: قوله «**وَالْكَسَلِ**»؛ وهو معطوف على العجز، أي: وأعوذ بك من الكسل، وهو فترة النفس والتثاقل عن صالح الأعمال مع القدرة عليها إيثاراً لراحة البدن على التعب، ويكون ذلك لعدم انبعاث النفس للخير وضعف الرغبة فيه.

قال ابن القيم رحمه الله: «والعجز والكسل قرينان، فإنَّ تخلُّفَ مصلحةِ العبد وكمالهِ ولذّتِهِ وسروره عنه إما أن يكون مصدره عدم القدرة؛ فهو العجز، أو يكون قادراً لكنَّ تخلف لعدم إرادته؛ فهو الكسل، وصاحبه يلام عليه ما لا يلام على العجز، وقد يكون العجز ثمرة الكسل، فيلام عليه أيضاً، فكثيراً ما يكسل المرء عن الشيء الذي هو قادرٌ عليه وتضعف عنه إرادته فيفضي به إلى العجز عنه» .

لَقَد تَعَدَّدَت فِينَا صُـوَرُ العَجزِ وَالكَسَـلِ حَتَّى بَلَغَت بِبَعضِـنَا إِلى تَركِ فَرَائِضَ وَاجِبَةٍ، وَالوُقُوعِ فِي كَبَائِرَ مُوبِقَةٍ، وَالتَّهَاوُنِ بِحُقُوقٍ لِلنَّاسِ لازِمَةٍ، فَهَذَا التَّسَـاهُلُ بِأَدَاءِ حُقُوقِ الوَالِدَينِ مِن قِبَلِ الأَبنَاءِ، وَقَضَـاءُ السَّـاعَاتِ الطِّوَالِ فِي تَقلِيبِ عَشَـرَاتِ المَوَاقِعِ فِي الشَّـبَكَاتِ لِتَتَبُّعِ الأَخبَارِ وَأَحوَالِ الآخَرِينَ، مَعَ هِجرَانِ كِتَابِ اللهِ وَدِرَاسَـةِ السُّـنَّةِ وَكُتُبِ العِلمِ المفِيدَةِ، وَنُزُوعُ النُّفُوسِ إِلى رِحلاتِ الصَّيدِ وَالنُّزهَةِ وَأَسفَارِ السِّيَاحَةِ وَمَجَالِسِ القِيلِ وَالقَالِ وَالسَّـهَرَاتِ فِي الاسـتِرَاحَاتِ، مَعَ عُزُوفِهَا فِي المقَابِلِ عَنِ المشَـارَكَةِ فِي الأَعمَالِ الدَّعَوِيَّةِ وَبَذلِ النُّفُوسِ وَالأَوقَاتِ فِي مُتَابَعَةِ المشرُوعَاتِ الخَيرِيَّةِ، وَزُهدِهَا فِي الجُلُوسِ لِتَعَلُّمِ كِتَابِ اللهِ وَتَعلِيمِهِ وَحُضُـورِ مَجَالِسِ الذِّكرِ وَحَلَقَاتِهِ، وَتَفرِيطُ كَثِيرِينَ فِي الحُضُـورِ المبَكِّرِ لاسـتِمَاعِ الذِّكرِ فِي خُطَبِ الجُمُعَةِ، وَالتَّثَاقُلُ فِي الحُضُـورِ لِصَـلاةِ الجَمَاعَةِ، نَاهِيكُم عَنِ التَّسَـاهُلِ فِي فِعلِ النَّوَافِلِ المنْدُوبَاتِ وَالرَّغبَةِ عَنِ السُّـنَنِ الرَّاتِبَةِ وَالقُرُبَاتِ، وَالانشِـغَالُ فِي أَغلَبِ الأَوقَاتِ عَن ذِكرِ اللهِ مَعَ سُهُولَتِهِ وَتَيَسُّرِهِ عَلَى اللِّسَانِ..

وإنما استعاذ النبي -ﷺ- من العجز والكسل؛ لأنهما يمنعان العبد من أداء الحقوق الواجبة عليه، ومن تحصيل مصالحه النافعة له، ولو نظر الناظر في أحوال الناس لوجد أن الفتور في الناس عن العبادة والطاعة سببه العجز والكسل، لهذا ما أحوج العبد إلى أن يتعوذ كثيرا بالله منهما لأنهما يعيقانه عن الطاعة والعبادة وعن الخيرات.

■والثالث: قوله « وَالْـجُبْنِ» أي: استعين بك وألجأ إليك وأحتمي بحماك أن أكون جبانا أو بخيلا.

✍وأعوذ بك من الجبن، وهو ضد الشجاعة، أي: المهابة للأشياء والتأخر عن فعلها، وهو ناتج عن ضعف القلب وخشية النفس، وهو من الخلال المذمومة التي لا تصلح أن تكون في المؤمن، ويُقرن معه في بعض النصوص التعوذ من البخل؛ وهو منع الواجب، أو منع السائل عما يفضل عنده، أو أن لا يعطى شيئاً، وهو من الصفات المذمومة، قال تعالى: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}[آل عمران:180] .

📄قال ابن القيم رحمه الله: «والجبن والبخل قرينان، فإنَّ الإحسان يُفرح القلب ويشرح الصدر ويجلب النعم ويدفع النقم، وتركه يوجب الضيم والضيق، ويمنع وصول النعم إليه، فالجبن : ترك الإحسان بالبدن، والبخل: ترك الإحسان بالمال» . 📄وقال أيضاً: «فإنَّ الإحسان المتوقع من العبد إمّا بماله، وإمّا ببدنه، فالبخيل مانعٌ لنفع ماله، والجبان مانعٌ لنفع بدنه» .

■والرابع: قوله «وَالْهَرَمِ» أي: وأعوذ بك من الهرم، وهو البلوغ في العمر إلى سنٍّ تضعف فيه الحواس والقوى، ويضطرب فيه الفهم والعقل، وهو أرذل العمر الذي جاء التعوذ منه في قوله: (وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر)، قال الشوكاني رحمه الله: « لأن بقاء المؤمن ممتعاً بحواسه قائماً بما يجب عليه متجنّباً لما لا يحل فيه حصول الثواب وزيادة الخير» . وفي الحديث: (خير الناس من طال عمره وحسن عمله، وشر الناس من طال عمره وساء عمله) رواه أحمد. وأعظم ما يعين على سلامة الحواس وصحة الإدراك حال الكبر المحافظة على الطاعة والمواظبة على العبادة، وفي الحديث: (احفظ الله

يحفظك) ، وكذلك ذكر الله وتلاوة كتابه، قال عبد الملك بن عمير رحمه الله: «أبقى الناس عقولاً قَرَأَةُ القرآن». وقال الشعبي رحمه الله: «من قرأ القرآن لم يَخْرف» .

■والخامس: قوله «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ» وعذاب القبر حق، قد قال -ﷺ-: ((أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر، فإن عذاب القبر حق)) .

✍والناس يعذبون في قبورهم إلا أهل الإيمان والطاعة، والعذاب في القبر يكون على الكفر وهو عذابٌ دائم مستمر {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}أي في قبورهم، لقوله بعدها: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}[غافر:46] ، وعذاب العصاة وهو نوع آخر فهو بقدر ذنوبهم، كما في الحديث عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: ((مَرَّ النَّبِيُّ -ﷺ- بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ)).

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: "إذا تشهّد أحدُكُم فليستعِذ بِاللهِ مِن أربعٍ؛ يقُولُ: اللّهُمّ إِنِّي أعُوذُ بِك مِن عذابِ جهنّم، ومِن عذابِ القبرِ، ومِن فِتنةِ المحيا والمماتِ، ومِن شرّ فِتنةِ المسِيحِ الدّجّالِ". رواه مسلم

■والسادس والسابع: قوله «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»؛ وهو تعوذٌ من فتنة الحياة وفتنة الموت.

قال ابن دقيق العيد: «وفتنة المحيا ما يتعرض له الإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات، وأشدها وأعظمها -والعياذ بالله - أمر الخاتمة عند الموت. وفتنة الممات يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت لقربها منه.

⭕الله لم يقل إن الحياة راحة، بل ابتلاء. أحيانًا تكون الفتنة في النعمة أكثر من المصيبة.

☜مثل رجل كان فقيرًا قريبًا من الله، فلما اغتنى انشغل بالدنيا، فكانت النعمة فتنة له.

♦قال بعض السلف: قد يُبتلى العبد بالسراء أعظم من البلاء بالضراء.

⭕قد تكون أنت نفسك فتنة لك! عُجبك بنفسك، رؤيتك أنك أفضل من غيرك، الثقة الزائدة بسلامة قلبك... كان محمد ﷺ يُكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"...إذا كان النبي يخاف على قلبه، فكيف بنا؟

✍وفتنة الممات تكمن في صورتين الأولى الفتنة التي تحصل ساعة الاحتضار، والشيطان أحرصُ ما يكون على إغواء بني آدم وقت الموت؛ لأنه وقتُ الحاجة، قد قال عليه الصلاة والسلام: «الأعمال بخواتيمها»، وعدو الله أحرص ما يكون على ألاّ يُختم لعبد الله المؤمن بالخاتمة الحسنة الطيبة، قال عبد الله ابن الإمام أحمد رحمهما الله: «لما حضرت أبي الوفاة جعل يقول: لا بعد، لا بعد، فقلت: يا أبت أي شيء هذا؟ فقال: إبليس قائم حذائي عاضٌّ على أنامله يقول لي: يا أحمد، فُتَّني، وأنا أقول له: لا بعد، حتى أموت» . أعاذنا الله جميعا منه.

وأما الصورة الثانية فهي ما يحصل للميت بعد دفنه في قبره من فتنة الملكين وسؤالهم للميت عن ربه ودينه ونبيه ولا ينجو من هذه الفتنة إلا من ثبته الله وألهمه رشده في الدنيا ووفقه للإجابة المقبولة فتحصل له النجاة منها والتي يعقبها النجاة من عذاب القبر وشدته » .

كيف نحمي أنفسنا من فتنة المحيا والممات؟

❶ كثرة الدعاء بهذا الدعاء في كل صلاة.

❷ الثبات على الطاعات الصغيرة الدائمة.

❸ البعد عن المعاصي الخفية.

❹ صحبة الصالحين.

❺ تجديد التوبة باستمرار.

❻ سؤال الله حسن الخاتمة دائمًا.

وأسأل الله ﷻ أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.